لهذي الجموع

أحسناء رفَّ الحبابُ السخينُ
على مقلتيكِ
وسال فحار السؤال الحزين
على وجنتيك
بكى الورد في وجهك النيِّرِ
طغى الوجد في نبرك الساحر
وقلتِ :
تغيرت يا شاعري
فأين اصطخاب الجوى الثائرِ
وحرُّ النشيدِ
ودنيا الغزل
واين انتحار الزمان المديدِ
بشهد القبل
وثغري يذوب على شفتيكَ
وانت تجج إلى شفتيَّ
وحيناً أنام على ساعديكَ
وحينا تنام على ساعديَّ
وصدري يضم عليك الجنانَ
ونهدي يدر بفيك الحنان
وانت على ساعدي الرضيع
ولحنٌ .. ودنٌ
وليلٌ .. يجنُّ
وتحنو النجوم على عرشنا
وتنسج من نورها عُشنا
تلألأ تشدو تغني لنا
انا انت في الحب انت انا !
فياشاعري غيرتك السنون
وغاض المعينُ
وجفَّ الوتر
ترى غيَّرتني ؟
تراني فقدت العيون التي
ألهمتك النشيد
وهل قصف الدهر هدب الجفون
وكم ألهبتكَ
تقول القصيد
وهل ثغري القرمزي الشهي
– كما كنت تشدو –
غدا كالجليد
أيا كبوة الأمل العاثر
جمدتَ .. تغيرت يا شاعرى .. »

★

احسناء ما غيرتني السنونُ
ولا غيرتكِ
احبك ما زلت .. لكنني
صحوت على صرخات الجموعِ
وخطو الفناء الى امتي
وانتحاب القبور
رأيت الحياة تموت هناك

الخصائص العديدة كروية لا تؤذي الطفل عند تسلمها، وكبيرة بحيث لا يضعها في فمه ، ورخوة فلا تؤلمه إذا صدمته . وهكذا تتدرج لهواته ، راميا من وراء كل واحدة منها الى غايتين : بدنية وعقلية . وهو يفرض ان تكون هذه الالعاب مرافقة بالغناء ، بأناشيد بسيطة ، مفرحة ، قريبة المعاني ، سهلة المخارج . وعمد هو نفسه في عام ١٨٤٤ الى وضع ما يقارب مئة انشودة تتوافر فيها الميزات المطلوبة .

ينتقل الطفل من بعد الى استخدام ادوات متعددة ، لكل منها خصائصها وأماليها ، متعرفاً الى الاجسام والاحجام والخطوط والصلابة والرخاوة ، عامداً الى الابتكار في البناء ، واحتذاء التصاميم الموضوعة بين يديه بحيث ينشط خياله ، ويستيقظ ابتداعه . ولستَ واجداً في « محارف العمل » منبراً وكرسياً ومعلمة مسمّرة في مجلسها ، تتكلم ، وتسرف في الخطاب ، وانما أنت واجد هنا « بستانية » تطوف بين الاطفال ، آخذة بيد هذا ، منبهة ذاك ، مسددة عمل ذلك ، شاملة الجميع بنظرة عامة ، مدركة نواحي الضعف والقوة في كل عمل من قطيعها .

★

في السطور التي خطها فروبل ، وفي النصائح التي وجه بها أتباعه ، جعل من الطفل والزهرة رفيقين متعانقين . ولم يعن بقوله « حدائق الاطفال » ضم حديقة الى كل مدرسة يتعلم فيها الاحداث ، وانما قصد الى معنى أسمى وأنبل . ففي خياله ويقينه ان الاطفال كالازهار الطرية الندية يحتاجون الى عناية مستمرة ، وعين يقظى ، وحرارة قلب ، لتتفتق أكمامهم في أروع ألوانها وأعبق عطورها .

جبور عبد النور

على مذبح اليأس في قريتي
تريد النشور
افاتنتي .. إن مضى السالكون
على ارضنا في الصباح القريب
يلمّون في النور آثارنا
فماذا تراه يقول الدليل
إذا سألوه عن الحالمينَ
عن اللاعبينَ .. عن الشاربينَ
عن الراقصينَ .. عن السامرينَ
عن النائمين بليل الدموع
على زفرات النفوس الموات
عن الهائمين ببحر الدماء
على زورق من جناح الخيال
وقد غلّفوا بالنبيذ العيونْ
ومرت عليهم جموع الجياع
ومروا عليها
فلم يلمحوا ذلة البائسينْ
ولم يسمعوا أنة البائسين
وراحوا يصوغون في حلمهم
عقود الدخان
فماذا تراه يقول الدليل ؟!
أأسمع وقع خطى الأفعوانِ
يدبُّ على جثث الساقطينَ
يُسوِّغ بالنعل ذل الجباه
وأقعد لا أستفز الجباه
وأحلم لا أستثير الجموعَ
لتحيا الحياه
لتضرب بالنعل عزَّ الطغاه ؟
أأسمع حشرجة الأشقياء
يئنون من قسوة العاصفه
وقد لفحتهم رياح السموم
وأجلس كالطفل احصي النجوم ؟!
أأسمع قهقهة الطاغيه
يسير بمركبه آمناً
وقد اغرق القوم في لجةٍ
ولا اخرق المركب الساريا

ولا انفخ الروح في الغارقين ؟!
أأحلم والليل من حوليه
دعاء يؤرّق عين السماء
ولكنها لا تجيب الدعاء
وفي كل كوخ جناز يقام
وليد يجيء بنهم جديدٍ
يريد الطعام
وأم تبيت بثكل جديدٍ
قبيل الفطام
وهل أهب الكاس ألحانيهْ
ولا أهب القوم لحن القيام ؟
★
أفاتنتي في احمرار الوردِ
على وجنتيكِ
رأيت الدماء
دماء المساكين في قريتي
يعيشون كالدود في مقبره
هم الدود والميت يا فتنتي !
أساحرتي في اختناق السوادِ
على مقلتيكِ
رأيت الشقاءْ
يلف بأذرعه الهاصره
جسوم الملايين من أمتي !!
أملهمتي في انسياب الحياةِ
على شفتيكِ
رأيت الجفافْ
رأيت سراب الحياة الشحيحِ
تصوّن لهفة الظامئينَ
وحلمُ الرمامْ
وهذي النجومُ
عيون العبيدِ
تطل علينا
وقد جحظت بالعذاب المقلْ
أفاتنتي ورأيت الرؤوسَ
ألوف الرؤوسْ
معلقة في فروع الشجرْ

وقد شنقتها حبال الشتاء
كشنق الثمرْ
وسوقاً كبيرهْ
يباع بها عرق الكادحينَ
— بسعر التراب —
ولحمُ البشرْ .
أفاتنتي ورأيت الظهورَ
يقوّسها كالهلال الصقيعُ
فتبحث في الأرض عن نفسها
وأيدي هزيلهْ
تجوس اصابعها في الثرى
تستدرُّ الحصى
دُرَّة اللقمة
وفي الرائعهْ
تسير بمصباحها المختنقْ
لتبحث عن لقمة ضائعهْ
ويأتي المساء
فتأوي الى جحرها جائعه
وفي كفها حسرة ضارعه
والتهابُ الاصابعْ
وتطوي على جوعها يأسها
كما تنطوي في الثرى قوقعهْ
ويسدل ستر الظلام الغليظِ
على مشهدٍ من صراع الحياةِ
ليبدأ في الصبح فصلٌ جديدْ
فتمضي الجموع بمصباحها
لتبحث عن لقمة ضائعهْ
فهل اهب الكاس ألحانيهْ
وقد زرعوا ارضنا بالحرابْ !!
أحسناءُ ..
ما غيرتني السنونُ
ولا غيرتك
أحبك ما زلت لكنني
وهبت النشيد لهذي الجموع !

القاهرة — نجيب سرور

«من رابطة (الألم) المشترك»